

خواطر في الصوم الكبير

الميتروبوليت يوثيل فرانغاكوس، مطران آداسا

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في هذه الفترة ، لدينا صومان كما نعلم جميعًا. هناك سبعة أسابيع من الصيام الصارم، وهي ثمانية إذا ضممنا أسبوع البياض الذي يسبق. بالنسبة للكثيرين، يعد هذا وقتًا ممتعًا ومرغوبًا، أما بالنسبة لآخرين فهو وقت صعب ولغيرهم هو غير ممتع على الإطلاق. سنحاول عرض بعض الأفكار حول هذه الفترة، كما وصفها آباء الكنيسة.

بادئ ذي بدء، لتتذكر القديس يوحنا الدمشقي الذي أبدى ملاحظة عامة بشأن الصوم الكبير. "لا تضعفوا الصوم، فهو اقتداء بأسلوب حياة المسيح". هذا مهم. المسيح لا يضعف، هذا يستنزف قوة الصوم الكبير. على نطاق أوسع ، يمكننا القول أن القديس يوحنا لا ينتقص من الصوم الكبير. لا يقول إن هذه الفترة ليست مناسبة ولا يسخر من صوم الكنيسة. إنه لا يهينها، ولا يشعر بالاستياء من وصولها، ولا يأمل أن تمرّ بسرعة، ولا يكسرهما بدون سبب ولا يعبر بقوة عن وجهة النظر التي تقول إن الزمن تغير و يجب أن نتغير معهم.

الصوم الكبير هو اقتداء بحياة المسيح. بعد معموديته خرج إلى البرية وهناك "صام أربعين يومًا وأربعين ليلة، جاع أخيراً" (متى ٤:٢). المسيح كان الإنسان الكامل ولم يكن لديه استعداد للخطيئة، لكنه كان بحاجة إلى أن يعطينا نموذجًا. كان من الضروري أن تُعطى صورة النسك حتى نحقق هدفنا وهو الاتحاد بالله. خلال هذه الفترة، عانى من إغراءات الشيطان وأثناء هذه التجارب "حَدَمَتِه الملائكة" (مرقس ١:١٣). إن لنا في تجارب المسيح الكثير من التعليم.

بطريقة ما، تربى السيد المسيح بالتجارب في الصوم. في وقت لاحق، كان الشيطان ينزل عليه مثل العاصفة الرهيبة. خرج منتصرًا من كل التجارب كما يُفْتَرَضُ أن يخرج كل المؤمنين. سنواجه في حياتنا الكثير من التجارب التي نحتاج أن نتعلم فيها. فترة الصوم الكبير هذه هي إعداد روحي لنا نحن المسيحيين. نتعلم القتال. لقد أظهر لنا الرب الطريقة بأن جُرِّبَ هو أولاً.

أثناء صيامه، جُرِّبَ المسيح وانتصر. المؤمنون أيضاً يُخْتَبَرُونَ. لماذا يسمح الله بالتجارب؟ حتى نصل إلى معرفة أنه يمكننا أن نتخطاها. حتى نتضع. حتى يفهم الشرير أننا تخلينا عنه. حتى

نجاهد. حتى نحصل على خبرة مباشرة لموهبة الله. ملائكة الرب يخدمون المجاهدين. جُزِبَ الشيطان المسيح خلال صومه ليس فقط بوسائل معينة بل أيضًا بالمكان الذي كان فيه. غالبًا ما تكون العزلة والوحدة من أسلحة الشيطان. ومن الأمثلة على ذلك حواء التي أغراها عندما كانت بعيدة عن آدم. تجلب العزلة أحيانًا الرتابة والكسل والجوع والألم. لذلك في الصوم يتشجّع الشيطان ويهاجمنا. عندما يرانا مع الآخرين ومنتظمين بشكل جيد، لا يملك الشجاعة لإلحاق أي ضرر كبير بنا (حسب القديس يوحنا الذهبي الفم). لهذا السبب، خلال الصوم، يجب أن نذهب إلى الكنيسة، إلى الخدم، وندعم بعضنا البعض ونتشجّع بحقيقة أننا لسنا وحدنا في الجهاد، بل لدينا الكنيسة بأكملها معنا. لقد تشجّع الرب من ملائكة الله. لذا يمكننا أن نروا الفائدة التي نستمدّها من الصوم الكبير.

ثم قديس آخر من الكنيسة، يوحنا الذهبي الفم، يكتب أنه خلال فترة الصوم الكبير نتبادل البضائع الروحية ونكتسب ثروة من الفضائل. ويؤكد أن مجرد تجاوز أيام الصيام ليس إنجازًا عظيمًا ولكن المهم هو تصحيح بعض عيوبنا وتطهّرنا من خطايانا.

ليس من الغريب أن نسمع الناس يسألون الآخرين عن عدد الأسابيع التي صاموا فيها ويكتشفوا أن البعض قد صاموا واحدًا والبعض الآخر اثنين أو ثلاثة وآخرون طوال الصوم. ولكن ما الفائدة من الصوم كله إن لم نكتسب بعض الفضيلة في ذلك الوقت؟

إذا أخبر البعض أنهم صاموا الصوم كله فقولوا لهم: "كان لي عدو وتصالحنا؛ كنت معتاداً على الانتقاد وتوقفت؛ اعتدت أن أقسم لكنني شفيت من تلك العادة السيئة..." لن نستفيد من الصيام إذا كان كل ما نفعله هو عبوره والبقاء كما كنا. فإن امتنعنا عن الطعام ينتهي الصيام بعد الأربعين. ولكن إن امتنعنا عن الخطايا فعند انتهاء زمان الصوم سيبقى هذا الصوم (عن الذنوب) وسيستمر ولن يعطينا عائداً ضئيلاً حتى قبل أن نبلغ ملكوت السماوات.

إذاً نرى أن الصوم الكبير ليس مجرد وقت لصيامنا عن الطعام وحسب، ولكنه أيضًا فرصة لنا لممارسة الفضيلة. عندما ننجح في تحقيق ذلك، في اليوم العظيم، سنكون مستحقين الاقتراب من المائدة الروحية، أي الإفخارستيا الإلهية، والمشاركة في الوجبة. إن مشاركتنا لسر الحياة هو دافع كافٍ لنا لندفع أنفسنا في الجهاد الروحي.

يؤكد القديس غريغوريوس اللاهوتي أن الصوم هو أيضًا تنقية لنفسنا. قبل يوم عيد الفصح العظيم، "إنه تطهير للعيد". المسيحيون قادرون على "الموت مع المسيح". تمامًا كما أمات

المسيح جسده من أجل خلاص العالم، كذلك يمكننا أن نميت عواطفنا من أجل خلاصنا. صام الرب قبل تجربته بوقت قصير. نحن نصوم قبل عيد الفصح. إذا عبرنا ساحة الصوم الكبير بأفكار مثل هذه ، سنكون أفضل حالاً بكثير.

Source: Thoughts on Great Lent. <https://pemptousia.com/2021/03/thoughts-on-great-lent/>